

نحو معجم تاريخي مختصّ: الواقع والطموحات

Towards a Specialized Historical Dictionary: Reality and Aspirations

أحمد برماد

Ahmed Bermad

جامعة جيجل (الجزائر)، bermad_ahmed@univ-jijel.dz

تاريخ النشر: 2025/05/28

تاريخ القبول: 2025/03/12

تاريخ الاستلام: 2025/01/27

الملخص : إن أكبر طموح يسعى المعجميون العرب اليوم إلى بلوغه هو إنجاز معجم تاريخي متكامل يضم كل مفردات اللغة العامة مرتبة ترتيباً تاريخياً، من أول استخدام لها إلى أحدث استعمال، يبيّن تطور المعاني اللغوية وتحورها واندثارها عبر مسارها الزمني الطويل، وأمام حجم الفائدة العظيمة التي يقدمها هذا المشروع، فإننا نطرح جانباً آخر من المعجم التاريخي، ألا وهو المعجم التاريخي المختصّ؛ أي الذي يضم المصطلحات والعبارات الاصطلاحية والمفاهيم العلمية، ويتبعها منذ أول استخدام علمي اصطلاحي لها إلى أحدث استعمال، وبيّن التطورات والتحوّلات التي طرأت على الاصطلاحات العلمية منذ أول ظهور لها، ولا شك أن الوصول إلى مشروع بهذا الحجم سيمكننا من القضاء على كثير من أشكال الفوضى الاصطلاحية التي تطبع الممارسات العلمية العربية الحديثة. **كلمات مفتاحية:** المعجم التاريخي، المعجم التاريخي المختصّ، المعجمية، الصناعة المعجمية العربية، المصطلح العلمي.

Abstract

The greatest ambition that Arab lexicographers today aim to achieve is a historical dictionary that would collect all the standard vocabulary in chronological order from its very first usage to the latest, tracing the change, transformation, and disappearance of the various meanings of linguistic items. With the significant value the project will provide once completed according to its specified requirements, we introduce another type of historical dictionary: the specialized historical dictionary. That includes The words, idiomatic expressions, scientific terms, starting from their earliest technical use and down to the latest, are covered in this kind of dictionary. It also provides the innovations and alterations that have taken place in the scientific terms from its earliest appearance. There is no doubt that achieving a project of this scale will enable us to eliminate many forms of terminological chaos that characterize modern Arab scientific practices.

Keywords: Historical Dictionary, Specialized Historical Dictionary, Arabic Lexicography, Lexicography, Scientific Term.

المؤلف المرسل: أحمد برماد، الإيميل: bermad.ahmed@gmail.com

1. مقدمة:

قطعت الأمم المتحضرة أشواطاً هامة في العناية بلغاتها، والتمكين لها في مختلف مجالات الحياة المعاصرة، ولمّا كانت اللغة أخطر مظاهر العمران البشري بتعبير ابن خلدون، فإننا نرى ذلك التهافت غير المسبوق من الأمم للتمكين للغاتها، وهذا التمكين لن يمر إلا بالعناية بمستويات اللغة في حد ذاتها؛ أي من خلال العودة إلى مختلف المستويات التي تقوم عليها اللغة الأم، ودراساتها وفهم بنياتها وتحديد العلائق التي تجمع بين وحداتها، ثم بعدها بحث آليات تفاعل هذه المستويات والبنىات.

ولعل العناية بالمستوى المعجمي من اللغة، هو واحد من الأشكال البسيطة التي تتبئ فعلاً بالاهتمام الجدّي باللغة وتطويرها، وقد لاحظنا الأمم المتطورة قد أعطت معاجمها اهتماماً بالغا من نواحٍ متعددة شكلاً ومضموناً، بل وأسست مراكز ومؤسسات مستقلة تنصبّ جهودها على المعاجم فقط دون غيرها، بل وتعدّي الأمر في هذه المؤسسات مجرد تحقيق العناية اللغوية - إن صحّ التعبير - إلى تحقيق عوائد مالية من وراء هذا الاهتمام.

لا غنى اليوم لكل اللغات عن المعجم التاريخي باعتباره سجلاً تدون فيه حياة الألفاظ وتاريخها، وعلى الرغم المحاولات المبكرة نسبياً لإنجاز معجم تاريخي عربي بدءاً من جهود فيشر، إلا أن هذه الجهود بقيت متعثرة نوعاً ما ولم تبلغ منتهاها تقريباً إلا في جهود معجم الدوحة والشارقة، وإذا كان معلوماً اليوم حجم الفائدة العلمية والعملية من وراء المعجم التاريخي العام، فإن هذه الورقة العلمية تقترح تصوراً جديداً للمعجم التاريخي يتمثل في شقه المختصّ أي المعجم التاريخي المختص، فما المقصود بهذا المعجم وما هي الفوائد العلمية التي ستجنيها المصطلحية العربية من وراء هذا النوع من المعاجم؟ وقبل الإجابة عن هذه التساؤلات ينبغي علينا أولاً تسليط الضوء على واقع الصناعة المعجمية العربية.

2. واقع المعجم العربي :

لا يختلف اثنان اليوم في كون الأمة العربية أمة سباق في التأليف المعجمي، وفي محاولة جمع الرصيد المعجمي للغة العربية، حيث إن ظهور معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) قد سبق ظهور أول معجم للغة الانجليزية (اللغة الأولى اليوم في العالم) وهو معجم صموئيل جونسون بما يقرب من أحد عشر قرناً ونصف (بالخير، 2003، صفحة 15)، وأن مصطلح معجمية (lexicographie) لم يظهر في إنجلترا إلا سنة 1680م، ولم يظهر بفرنسا إلا سنة 1716م (الحمزوي، 1990، صفحة 11) وهو ما يجعلنا نقف أمام تساؤل جوهري وجودي، عادة ما يتكرر على ألسنة الباحثين: لماذا تقدّموا، وتأخّرنا؟

لا تكفي أحيانا عملية المقارنة بين إنجازات الأمم والشعوب في بيان أسباب الفشل أو الإقلاع، وإنما علينا أحيانا أن نمارس عملية نقد ذاتي، نبين فيه مواضع الإصابة والخطأ، ومن أجل ذلك نقول: إن النشاط المعجمي العربي ظهر متوقّدا متوهّجا في بدايته مع الرسائل اللغوية الأولى، ومع كتب الغريب، ثم مع المعاجم المتنوعة، ذات الترتيب المتعدد والمختلف، ونظرا للجو السياسي والاقتصادي والثقافي والعلمي الذي ساد البلاد العربية في فترات الضعف، إذ هبت علينا نسائم التكرار والاجترار والتقليد، فانعكس هذا الوضع على الصناعة المعجمية العربية، واستمر هذا الوضع إلى غاية الفترة الحديثة التي تميزت ببعض المحاولات الجادة في تجديد المعجم العربي شكلا ومضمونا، وفي الرعاية الرسمية للدول العربية من أجل تطوير هذه الصناعة بما يخدم اللغة العربية، وفي ظهور العمل الجماعي ممثلا في جهد المجامع اللغوية العربية ومراكز البحث والهيئات التابعة للدوائر الرسمية العربية، وطبيعي جدا أن يتم التحول إلى العمل الجماعي، ذلك أن المعجم المتكامل والجامع في فترتنا الحاضرة لا يمكن أن يكون عملا فرديا، وإنما هو حاصل اشتراك اللغوي والأديب والفيلسوف، فليس بمقدور فرد واحد أن يحمل مفردات اللغة كلها. (فريحة، 1981، صفحة 103).

إنّ كلّ هذه المحاولات الجادة لم تستطع أن تخلّص المعجم العربي الحديث من المشاكل التي ظل يتخبط فيها منذ أقول نجم الفراهيدي (ت 175هـ) وابن سيده (ت 458هـ) وابن منظور (ت 711هـ) وغيرهم؛ إذ لازلنا اليوم نكرر نفس العمل الذي قام به هؤلاء سواء على مستوى الجمع أو على مستوى الوضع، فنورد المواد المعجمية بصورة نمطية، تقليدية، ونضمّنها نفس المعلومات المعجمية والصرفية والاشتقاقية التي وضعها أسلافنا وقد أجمل بعض الدارسين أهم النقائص التي يعاني منها المعجم العربي الحديث فيما يلي: (مصلوح، 1984، صفحة 285)

- عمق الفجوة بين الوعيد وبين الإنجاز فسرعان ما ينادون بالمشروع وبطآن ما يكون تحقيقه.
- التناسخ؛ أي اجترار الجهود السابقة فأكثر المعجمات لا تقوم إلا بنسخ بعضها البعض، شكلا ومضمونا، مع توظيف نفس المعاني القديمة دون تجديد أو مراعاة لأهم خاصية تتميز بها المعاني اللغوية وهي : التطور .
- عدم استثمار ما توصّلت إليه الصناعة المعجمية، أي عدم مراعاة ما استقرت عليه أصول الصناعة في صياغة المداخل، وطبيعة المعلومات المعجمية وترتيبها، وشروط التعريف وغيرها.
- تأخر المعجم التاريخي، مع العلم أن معرفة اللغة العربية وحضارتها لا تتحقق إلا بإنشاء هذا النوع من المعجمات، مع التنبيه إلى أن ما يصاغ حاليا في معجم الدوحة التاريخي، ومعجم الشارقة

التاريخي الذي أعلن مؤخرًا اكتمال آخر بابين فيه، أمر يبعث على الابتهاج فعلا، إلا أنهما مشروعان في بداية الطريق ويحتاجان إلى مزيد تنقيح وتعديل.

- الفوضى في ترتيب المعنى داخل المادة المعجمية الواحدة، إذ إن كثيرا من المعاجم لم تتضح لديها لحد الآن المنهجية الواضحة في إيراد المعلومات المعجمية، (الصرفية، الاشتقاقية، الدلالية..)، حيث لا نعثر على نفس المنهجية في المعجم الواحد.
- لم تستطع معظم المعاجم اللغوية الحديثة مواكبة التطور العلمي الحاصل في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وقد اتضح ذلك بقلّة العناية بالمصطلحات العلمية وألفاظ الحياة المستحدثة، والوفادة إلى لغتنا من المجتمعات الأخرى.
- معظم المعاجم العربية الحديثة لا تخضع للمراجعة الدورية بهدف تنقيحها، وتصويبها، وإضافة ما استجد من ألفاظ الحياة والحضارة في عصرنا، وهذا على عكس ما نجده في معاجم اللغات الأخرى على غرار معاجم اللغة الانجليزية والفرنسية.

ولعلنا سنستأنس بإشارة للباحث عبد القادر عبد الجليل في كتابه "المدارس المعجمية" يبين فيها أهم مظاهر الاختلال في الصناعة المعجمية العربية الحديثة؛ حيث أرجعها إلى خلل التصحيف والتحريف، وعدم اعتماد أنظمة واضحة وموحدة في الترتيب والتبويب، وكذا عدم الاهتمام بضبط الغريب والحوشي، وترتيب سلم الأهمية بين الفصيح والأفصح والغريب، ويضاف إلى كل ذلك الضعف الواضح في قضية الشواهد والإحالات وغيرها من المشكلات التي يصعب حصرها في هذا المقال، ولعلّه قد أشار إلى نقطة مهمة في ختام عرضه لهذه المشكلات حين ألمح إلى ضرورة تكاتف الجهود وتراكم الاهتمامات في شكل جماعي ذلك أن العمل الفردي الآن لم يعد مجديا في كثير من جوانبه نظرا لضخامة التراث المعجمي العربي وفي هذا الشأن يقول: "إن هذه الشوائب لابد لها من تنقية إذا أريد للمعجم العربي أن يعتمد على أساس راسخ، وهو جهد الجماعة وليس الأفراد، والمؤسسات العربية في إعادة البناء التركيبي، باعتماد التقنيات الحديثة، التي قدمت خدماتها للكنوز اللغوية الفرنسية والأمريكية والبريطانية وغيرها من اللغات الأوروبية الأخرى" (الجليل، 2014، صفحة 19).

إنّ هذا الباحث يحيلنا مباشرة إلى نوع من العمل الجماعي الذي يهدف إلى تلافي كل النقص الذي يميز المعجم العربي في صورته المتعددة والراهنة، والمتمثلة -من جهة الفريق المنشئ- في الهيئات الرسمية والعمل الجماعي من جهة، وفي المعجم التاريخي بشكليه العام والخاص من جهة العمل المنجز، ولعل هذه الأمر قد ألمح إليه أوغيست فيشر August Fischer منذ عقود زمنية فائتة، حين قدّم نقدا للراهن المعجمي العربي وخلص إلى

أن أنسب حل للوضعية التي تعيشها المعجمية العربية حاليا هو بناء معجم تاريخي (فيشر، 1967، صفحة 07)، وهو ما نراه سبيلا للنهوض نوعا ما بالمعجم العربي وما سنفصل فيه في ما يأتي من صفحات البحث.

3. المعجم التاريخي العام للغة العربية:

قد اتضح لنا من العرض السابق أن المعجم العربي يعاني من فوضى كبيرة في مستويات متعددة سواء في عملية الجمع أو الوضع، أو في عمليات التحيين ومواكبة العصر، وإننا قد أشرنا إلى طريقتين من طرق النهضة بالمعجم العربي وهما: العمل الجماعي من جهة الهيئات المنفذة للمشروع، والمشروع التاريخي للغة من جهة المشروع في حد ذاته، ولا ضير في التذكير بماهية المشروع التاريخي والعمل الجماعي.

فإذا كان واضحا لدينا الآن المقصود بالعمل الجماعي باعتباره عبارة عن تضافر الجهود بين الباحثين والمختصين من مجالات علمية ومعرفية متعددة، وهيئات ومؤسسات مختلفة لإنجاز المعجم لأن الجهد الفردي قد أثبت قصوره في مستويات متعددة قياسا بالتجارب الجماعية، وذلك على اعتبار أن الفرد لا يمكنه أن يحيط باللغة ومعانيها ومصطلحاتها ومفاهيمها، وإنما هو عمل يحتاج تكاتف الجهود وتوحيدها، هذا فيما يخص ماهية الجهود الجماعية في الصناعة المعجمية وأهميتها، وأما طبيعة المعجم التاريخي فإنها تحتاج منا تفصيلا أكثر.

1.3 في ماهية المعاجم التاريخية:

يمكن أن نقدم تعريفات متعددة للمعجم التاريخي منها:

أ- عند أوغيت فيشر August Fischer (1860-1949):

لم يعرف فيشر المعجم التاريخي صراحة وإنما قدم في مؤلفه إشارات إلى ماهية المعجم التاريخي وكيفيات بنائه، حيث نجد إشارات متناثرة عن تصوره لهذا النوع من المعاجم، وقد انطلق في تقديم تصوره هذا من نقده للعمل المعجمي العربي التقليدي، فخلص في ذلك إلى النتيجة التي يريد الوصول إليها وهي ضرورة بناء هذا النمط من المعاجم في اللغة العربية -أي المعاجم التاريخية- لتفادي كثيرا من المشاكل التي يتصورها (فيشر، 1967، صفحة 07)، فانتهى من وراء هذا النقد لواقع المعجمية العربية، والمشاكل التي تتخبط فيها إلى ضرورة بناء ما يسمى بالمعاجم التاريخية التي تقوم على السرد التاريخي المرتب للمعاني والاستعمالات اللغوية، وذلك على الرغم من كونه لم يشر صراحة إلى تعريف دقيق وواضح للمعجم التاريخي، ولكنه وضّح فكرته الأساسية المبنية على السرد التاريخي للمعاني والاستعمالات اللغوية مزودة بشواهدا وأمثلة، وهذا العمل -برأيه- قادر على تجاوز كثير من المشاكل التي يعاني منها المعجم العربي.

ب- شوقي ضيف:

قدم شوقي ضيف في محاضراته المنشورة بمجلة المعجمية التونسية سنة 1990، تصوره حول بنية المعجم التاريخي عنوانها بـ: "صعوبات الاستشهاد في المعجم العربي التاريخي"، حيث ركز فيها على غياب الترتيب التاريخي للمعاني، وعدم التفريق بينها حسية كانت أم معنوية، حقيقية كانت أم مجازية، إذ هي مزيج من كل هذه الأمور، ودعا في الوقت ذاته إلى تجنب هذه النقائص في المعجم التاريخي العصري، وبناء على هذا النقد قدّم تصوره لهذا المعجم الذي ينبغي أن ترتب فيه المعاني مرتبطة بتاريخ استعمالها "بحيث توضع فيه على أساس من التسلسل التاريخي حتى يستطيع قارئ المادة أن يتتبع الكلمة من أقدم عصورها، وبذلك تتجلى له صورة الحضارة العربية وهي تصعد في مدارج الرقي والتقدم، ولابد أن ترتب الأفعال والأسماء فيه ترتيباً ثابتاً مع توضيح منهج الترتيب" (ضيف، 1990، صفحة 410) وغيرها من الشروط التي حددها شوقي ضيف للمعجم التاريخي العربي والتي تنبئ فعلاً بوعيه بأزمة المعجم العربي من جهة، ووعيه أيضاً ببنية هذا النوع من المعاجم من جهة أخرى.

ج- الطيب البكوش:

يشبه الطيب البكوش المعجم التاريخي بتشبيهه خاص، إنه قصة حياة الكلمات، يتضمن كل حياتها منذ نشأتها إلى يومنا الحاضر، وكل تحولاتها وتغييراتها الشكلية والدلالية، وكل تنقلاتها من لغة إلى أخرى إن حدث ذلك فعلاً، فكأن المعجم التاريخي سجل زمني قائم على تتبع حياة الكلمة منذ أول استعمال إلى آخره، يسجل أهم المحطات الهامة في تاريخها ممثلة في تطور دلالتها ومعناها، إنه أشبه ما يكون بمسجلة تقوم بنسخ أدق تفاصيل المفردة في حياتها، ولو اقتضى الأمر تتبع مسيرتها وانتقالها من لغة إلى أخرى لأنه يدخل ضمن التتبع الذي بنى تصوّره للمعجم عليه، ولكننا انتبهنا إلى ملاحظة مهمة ذكرها في سياق تقديمه للمعجم التاريخي حين قال: "هذا النوع من المعاجم ليس قاموساً بقدر ما هو قصة حياة مجموعة من الكلمات المحدودة" (البكوش، 1990، صفحة 389)، وإننا نضع العبارة الأخيرة محل تشكيك اليوم في ضوء تصور الدارسين للمعجم التاريخي؛ إذ إنه يتضمن أكبر قدر ممكن من الألفاظ مع مسيرة حياتها، وليس قائمة محدودة من الكلمات، وإن هذه الانتقائية التي نادى بها الطيب البكوش لا نراها مجدية فعلاً إن نحن أردنا التأسيس لمعجم شامل وتاريخي.

د- عند إبراهيم السامرائي:

لا يختلف تصور إبراهيم السامرائي كثيراً عن التصورات السابقة في عدّه المعجم التاريخي عبارة عن مدونة شاملة لحياة الألفاظ العربية، حيث يقول: "إن المعجم التاريخي يجب أن يكون قائماً على العناية بالأصول ثم الفروع عن هذه الأصول، وهذا يعني أنه يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها بل ولادتها إلى نهايتها، ولا أريد بالنهاية الموت

والفناء وإن يكن هذا من الأمور الحاصلة في جمهرة من الألفاظ التي عفا عليها الزمن، أو قل قد انتقت الحاجة إليها" (السامرائي، 1990، صفحة 187)، إنه يتصور هذا النوع من المعاجم سجلاً تاريخياً يتتبع تاريخ الألفاظ منذ الاستخدام الأول إلى آخر استعمال، وإن اقتضى الأمر تسجيل نهاية الاستعمال؛ أي اندثار هذا اللفظ أو ذاك وعدم استعماله.

هـ- عند علي القاسمي:

يبدو مفهوم علي القاسمي للمعجم التاريخي أكثر حداثة، وانسجاماً مع التطورات التكنولوجية الحاصلة، إذ إنه يربط المعجم بما توصلت إليه ما يسمى بالمدونات المحوسبة؛ باعتبارها مجموعة من النصوص المحوسبة الإلكترونية المخزنة في صورتها السمعية أو البصرية أو هما معاً، مما يمكننا من تمثّل الصورة الحقيقية للأداء والاستعمال اللغويين في مختلف السياقات الأدائية (القاسمي، 2008، صفحة 705)، حيث إنه يقدم للمعجم التاريخي إمكانية بنائه على نمطين أو صورتين، صورة تقليدية نمطية، وصورة آخر عصرية تستعين بما تقدمه التكنولوجيا الحديثة، وفي هذا الصدد يقدم تصوره لهذا المعجم فيقول: "والمعجم التاريخي هو نوع من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بتاريخ الألفاظ ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم ظهور مسجل لها حتى يومنا هذا، وهذا يعني أمرين:

- أن يضم المعجم التاريخي كل لفظ استعمال في اللغة سواء يستعمل في الوقت الحاضر أم لا.
- الثاني أن يوثق المعجم تاريخ كل لفظ في شكله ومعناه واستعماله ممثلاً لهذا اللفظ بعدد من الشواهد، ابتداءً من أول ظهور معروف لذلك اللفظ حتى آخر استعمال له" (القاسمي، 2008، صفحة 705).
- فالمعجم التاريخي وفق هذا التصور هو عمل يهدف بالأساس إلى التأريخ لحياة الألفاظ ويتتبع مسارات استعمالها عبر العصور، من أول استعمال وصلنا منه شاهد إلى آخر استعمال يمكن الاستدلال عليه بالشواهد النصية الواردة، دون أن ننسى في هذا السياق الألفاظ الميتة؛ أي التي توقفت استعمالها في فترة زمنية معينة، وبالتالي فإن المعجم التاريخي وفق تصور "علي القاسمي" يهدف إلى تتبع حياة اللفظة، ويكتسي المعجم التاريخي أهمية قصوى إذا تم الاستناد في بنائه على ما يسمى بالمدونات المحوسبة التي تضم ما أمكن من النصوص المسجلة والشواهد الشارحة والموثقة للاستعمالات اللغوية في مختلف العصور، وهنا نرى التصور الخاص للمعجم التاريخي عند علي القاسمي الذي يختلف نوعاً ما عن تصور الطيب البكوش، هذا الأخير عدّ المعجم التاريخي معجماً محدوداً من الكلمات، في حين نرى علي القاسمي يقدم التصور الواضح والأصح له؛ إذ إنه معجم واسع يسعى لتتبع حياة الألفاظ المختلفة اندثرت أم مازالت مستعملة في واقعنا اليوم.

و- عند الشاهد البوشيخي:

لا يختلف مفهوم المعجم التاريخي عند الشاهد البوشيخي عن المفاهيم التي صيغت سابقا إذ إنه يركز على الطابع التأريخي للمعجم، من حيث كونه وسيلة للتتبع التاريخي والزمني لحياة الألفاظ حيث يقول: "يقصد بالمعجم التاريخي ذلك المعجم الذي يؤرخ لحياة الألفاظ التي يتضمنها، منذ ولادتها وحتى آخر استعمال لها وموتها، متبعا للتطور الذي طرأ عليها، ولاسيما الدلالي (اتساعا وضيقا، واستقرارا واضطرابا) والاستعمالي (كثرة وقلة ، ومكانا وزمانا وميدانا)" (البوشيخي، 2003، صفحة 685) ، وبهذا يركز المعجم التاريخي على جوانب الدلالة من الاتساع والضيق، والاستقرار والاضطراب، وكذا الاستعمال كثرة وقلة زمانا ومكانا مع تحديد طبيعة اللفظة عامة أو خاصة تنتمي إلى ميدان أو مجال معرفي خاص.

ومهما يكن من أمر فإن المعجم التاريخي هو عمل ضخم من حيث بنائه، يسعى إلى جمع كل مفردات اللغة والتعريف بها، على غير عادة المعاجم التقليدية المعروفة، التي تركز على الدلالة الآتية للفظ أو المدخل المعجمي، وإنما تتعدى عملية البناء إلى التتبع التاريخي للألفاظ الواردة في المعجم ، دلالة واستعمالا، من خلال تتبع معاني الكلمات ودلالاتها، وتطور الدلالات مع تحديد تاريخ التطور ومكانه، وصاحب الاستعمال؛ إذ يعدّ الشاهد المذكور دليلا على الاستعمال الجديد، هي كلها معلومات لا نجدها في أشكال المعجم التقليدي النمطي التي نعرفها اليوم.

إن هذا التصور المذكور أعلاه للمعجم التاريخي العام الذي يضمن صورة عن تاريخ اللفظ في لغة ما من حيث استعماله ودلالته ، والتي من شأنها أن تقدم صورة أكثر وضوحا عن مفردات وألفاظ لغة ما من جهة، وتقدم التطورات الدلالية ومدى استعمالها وحضورها في اللغة الآتية من جهة أخرى ، كل هذا التصور بإمكانه أن يوجي لنا اليوم بضرورة التفكير في بناء معجم مواز للمعجم التاريخي العام يقوم على نفس فكرته التأسيسية ، وشروطه المادية، ويختلف عنه في مادته؛ أي في طبيعة الألفاظ التي يحويها بين دفتيه؛ أي يحمل بين طياته المصطلحات العلمية فيؤرخ لها ويتتبع تاريخها وتاريخ العلوم في الوقت ذاته، ويقدم نفس الفائدة العلمية التي نرجوها من المعجم التاريخي العام ، وهي القضية التي نسعى إلى التفصيل فيها فيما يأتي.

4. المعجم التاريخي المختص:

لاحظنا من خلال العرض السابق ماهية المعجم التاريخي العام والفائدة القصوى التي يمكن أن يقدمها للباحث أو المتبحر في اللغة وعلومها، وبناء على هذا التصور الذي يقوم عليه المعجم التاريخي العام، فإننا نقدم

تصوراً آخر للمعجم التاريخي في صورته الخاصة، أي المعجم التاريخي المختص الذي يؤرخ للمصطلحات العلمية والعبارات الاصطلاحية، وتطور دلالاتها العلمية المختلفة، وارتحالها من مجال إلى آخر.

1.4 مفهوم المعجم التاريخي المختص:

قدّم العديد من الدارسين تصورهم المبدئي للمعجم التاريخي المختص على غرار علي القاسمي والشاهد البوشيخي وغيرهما، حيث تم بناء فكرته على نفس منوال المعجم التاريخي العام، إذ إن الاختلاف يكمن فقط في طبيعة المواد الموجودة في المعجمين، ذلك أن مواد المعجم التاريخي المختص هي في الأصل مصطلحات علمية أو عبارات اصطلاحية جرى استعمالها في مجالات علمية وحقول معرفية خاصة، فقد عرّف علي القاسمي المعجم التاريخي المختص بقوله: "وعندما يشتمل المعجم التاريخي على جميع الألفاظ بغض النظر عن المجال العلمي الذي تنتمي إليه فإننا نطلق عليه اسم المعجم التاريخي العام، أما إذا اختص المعجم التاريخي بألفاظ أو مصطلحات علم من العلوم كالفلك أو الكيمياء مثلاً فإنه يسمى المعجم التاريخي الخاص أو المختصّ، ومن هذا المنظور يعدّ المعجم التاريخي المختص وسيلة من وسائل توثيق المصطلحات العلمية" (القاسمي، 2008، صفحة 705)، فالاختلاف بين المعجمين بيّن وواضح، إذ إن المعجم العام يشتمل على جميع الألفاظ عامة وخاصة من مختلف ميادين المعرفة الإنسانية، في حين يشتمل المعجم التاريخي المختص على مصطلحات علمية فقط تنتمي إلى مجال معرفي واحد دون غيره كالرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء وغيرها.

أما الشاهد البوشيخي فيعرف المعجم التاريخي المختص بقوله: "هو ذلك العمل العلمي الجامع لكل الألفاظ التي تسمى مفاهيم، في أي علم، مرتبة المباني ترتيباً معجمياً، لتيسير الوصول إليها معروضة المعاني عرضاً تاريخياً، لرصد التطور الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها" (البوشيخي، 2003، صفحة 686)، وبالتالي فإن هذا التعريف يحدد شروط وضوابط المعجم التاريخي المختص من حيث كونه معنياً بالمصطلحات العلمية فقط دون غيرها من الألفاظ العامة، ومن حيث كونه عملاً جامعاً شاملاً للاصطلاحات العلمية، مع التتبع التاريخي لمفاهيمها واستعمالاتها، ومن حيث يسر الوصول إلى الدلالات الاصطلاحية من خلال الترتيب المعجمي المعروف، وقد نتساءل اليوم عن دواعي بناء مثل هذه المعاجم التاريخية المختصة، بدلاً من الاكتفاء بالمعاجم العامة، وهي الإجابة التي نجدها بعد عرضنا لواقع الاصطلاح في بيئتنا العربية بصفة خاصة.

2.4. واقع المصطلح في البيئة العلمية العربية وموجبات المعجم التاريخي المختص:

تواجه البيئة الاصطلاحية العربية اليوم مجموعة من التحديات والمشاكل تقف عقبة أمام وضوح الرؤية فيما يتعلق بعمليات وضع واعتماد وتداول المصطلح العلمي العربي، وقد أسيل حبر كبير في هذه القضية، ويمكن أن نحدد أهم المشكلات التي تواجه المصطلحية العربية اليوم: (وغليسي، 2008، صفحة 483)

- إشكالية التعريب:

حيث نرى المصطلح الواحد ينقل إلى العربية بصور مختلفة، ويتعدد إلى درجة قد تخلق أزمة في تداول المصطلح في حد ذاته، " يثير رسم حروف الصبغ المعربة خلافا حادا بين أهل العربية، تعكسه الكيفيات المتعددة في رسم الحرف الدخيل الواحد، ويزداد الخلاف اتساعا كلما ابتعد نطق ذلك الحرف عما هو موجود في حروف العربية" (وغليسي، 2008، صفحة 483)

- الواقع اللغوي العربي غير المتجانس:

تعاني العربية اليوم من واقع خطير يتمثل في الازدواجية اللغوية والثنائية؛ حيث يتداخل في مستوى التعبير العلمي اليوم عند كثير من الدارسين المستوى الفصيح والعامي، حيث قد يؤدي هذا الوضع إلى حدوث تشويش في تلقي المصطلح، وبالتالي فإن الواقع اللغوي العربي يعاني وضعيات مقلقة بالتأكيد، وهو مبني على كثير من الثنائيات المتقابلة: فصحي/ عامية، عربية قديمة/ عربية حديثة، لغات محلية / لغات أجنبية، لغة رسمية/ لغة الحديث اليومي، كل هذه الوضعيات اللغوية قد تخلق مشكلات حقيقة للمصطلح العربي، وإن غياب سياسة لغوية وتخطيط استراتيجي لضبط هذه الوضعيات (التي هي في الأصل حالات طبيعية وعادية عند الأمم المتقدمة) قد يخلق وضعاً غير صحي وبيئة غير مناسبة تماماً للحديث عن تطوير الفعل الاصطلاحي وضبطه.

- الاشتراك والترادف في لغة المصدر:

قد يواجه المصطلح العربي وخاصة المنقول إلى البيئة العربية مشكلات الترادف والاشتراك في لغة المصدر حيث يمكن أن يشكل "صعوبة أخرى من صعوبات نقل المصطلحات العلمية والتقنية إلى اللغة العربية ففي حالة المترادفات قد لا يدرك المترجم أن اللفظين مترادفان، أو أن اللفظين المترادفين يترجمهما مترجمان مختلفان، ومن هنا تحدث الازدواجية في المصطلح العربي (...). ومن ناحية أخرى فإن الاشتراك اللفظي في لغة المصدر قد يؤدي إلى ترجمة المصطلح الواحد بمقابلين عربيين مختلفين" (القاسمي، 2008، صفحة 199)

كما يعاني المصطلح العربي من أزمت أخرى تنظيمية لا تقل خطورة عن المشاكل السابقة ، يأتي على رأسها: غياب المؤسسات والهيئات الرسمية المسؤولة على وضع المصطلح وتتبع استعماله وشيوعه، وإن وجدت بعض المؤسسات والمجامع اللغوية، فإن التنسيق بينها يبقى شبه معدوم إلا فيما نذر من الملتقيات والتجمعات العلمية، ويزيد الطين بلة نقص تحكنا في التكنولوجيا الحديثة بالإضافة إلى معوقات سياسية واجتماعية أخرى تجعل أزمة المصطلح العلمي العربي لا تجد مخرجا على الأقل في المدى القريب.

كل هذه المعوقات قد يسعف -في نظرنا- المعجم التاريخي للمصطلحات في تقديم حلول جذرية لها، أو على الأقل لبعضها، ذلك أننا نرى -في حدود رؤيتنا الخاصة- أن وضع معجم تاريخي لمصطلحات كل مجال معرفي أصبح أكثر من ضرورة ملحة وذلك نظرا للاعتبارات والموجبات الآتية: (البوشيخي، 2003، صفحة 687)

- الاعتبار اللغوي:

إننا اليوم في أمس الحاجة إلى معرفة تاريخ الألفاظ الخاصة (المصطلحات) بالقدر الذي نحن أيضا بحاجة لمعرفة تاريخ الألفاظ والكلمات العامة، وعلى هذا الأساس فإن معرفة شكل الكلمة أو المصطلح وتطوره الصوتي أو الشكلي لا يقل أهمية عن معرفة التطور اللغوي العام، في كل مكان وعند كل المستعملين، ولربما كان هذا الإجراء مساعدا في ضبط بعض الفوضى الشكلية (رسم المصطلح) التي نعاني منها خاصة في تلك المصطلحات الوافدة إلينا في القرون الأخيرة نتيجة التطور التكنولوجي ، ويفعل الاحتكاك الحضاري بين الأمم، فمعرفة شكل المصطلح ورسمه وتطور ذلك أمر أساسي في ضبط عملية الاصطلاح.

- الاعتبار المعرفي:

إذا كان تتبع اللفظ واستعماله عبر الزمان والمكان وعند مستعمليه بالأهمية القصوى التي ذكرناها سابقا، فإن تتبع المفاهيم العلمية من أول ظهور لها إلى أحدث استعمال، قضية لا تقل أهمية عن القضية السابقة، فعلمونا اليوم ومعارفنا المستخلصة، في أمس الحاجة إلى ضبط مصطلحاتها ومفاهيمها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة تاريخ هذه العلوم، وهذه المفاهيم وضبطها، بالصورة التي تمكننا في النهاية من تحديد الخلل الحاصل في المفهوم من أي زاوية كان (اشتراك، مترادف، ترجمة...).

- الاعتبار الحضاري:

لا نلزمنا كثير من الفطنة والذكاء لننتبه إلى ضخامة الإنتاج المعرفي والعلمي للحضارة العربية الإسلامية، وإن حضارة بهذا الزخم الكبير وهذا التاريخ العريق، فهي أولى من غيرها بضبط علومها وفنونها، ومصطلحاتها، وبالتالي فإن خير صنيع يقدمه الباحثون المحدثون، هو أن يحفظوا هذا التاريخ الطويل وهذا الإنتاج العلمي الغزير

بضبطه وتنظيمه، أسوة بغيرنا من الأمم التي لم تبلغ ما بلغته حضارتنا العربية، وعليه يبقى أمامنا هذا الواجب الحضاري الذي يجب أن يحس كل باحث بحمله، إلى غاية بلوغ هذا الهدف وهو بناء تاريخ للعلوم العربية ومصطلحاتها.

5. فاعلية المعجم التاريخي المختص:

في ضوء العرض السابق الذي بيّنا فيه واقع الاصطلاح العلمي العربي الذي يعاني في أكثر جوانبه من مشكلات متعددة؛ منها ما هو متعلق بالوضع ومنها ما هو متعلق بالجمع، ومنها مشكلات متعلقة بالترجمة والمناقشة مع الآخر الذي يصنع المعرفة والعلم، وفي ضوء التصوّر الذي تم تقديمه للمعجم التاريخي المختص الذي يقدّم الدلالة التاريخية للمصطلحات العلمية في أي مجال معرفي كان، ليقف عند تطور المفاهيم العلمية من أول ظهور لها واستعمالها استعمالاً خاصاً، إلى أحدث استعمال، مع إبراز التطورات والحوارات المعرفية التي أضيفت إليها عبر مسارها الزمني التكويني. إن فكرة هذا المعجم سابقة الذكر يمكنها أن تقلّل من جراحات المصطلح العلمي وتداوله في البيئة العربية وفق التصور التالي: (القاسمي، 2008، صفحة 705)

- يسهم في تحديد المفهوم العلمي للمصطلح من خلال الاعتماد على الدلالة الأكثر استخداماً والأكثر شيوعاً، وهذا لن يتأتّى إلاّ من خلال الفحص التاريخي التطوري لدلالات المصطلح العلمي عبر تكوّنه ونشأته، وهذا ما يسمح للمعجمي بانتخاب الدلالة العلمية الأكثر استعمالاً وشيوعاً.
- يسهم في توحيد الدلالة العلمية والمفهوم العلمي للمصطلح والقضاء على فوضى الاصطلاح التي منشؤها وجود أكثر من مفهوم للمصطلح الواحد في المجال المعرفي الواحد، والتي تعتبر إحدى عيوب العملية الاصطلاحية؛ إذ ينبغي أن يستقلّ المصطلح العلمي الواحد بدلالة علمية واحدة ضمن المجال المعرفي الواحد.
- يمكن أن يقدم المعجم التاريخي معلومات وافية وكافية عن صورة المصطلح وشكله الكتابي والتطورات التي طرأت عليه عبر الزمن.
- يسهم المعجم التاريخي المختص في عملية انتخاب الترجمة العلمية المناسبة للمصطلح من خلال اعتماد أكثرها شيوعاً واستعمالاً في النصوص العلمية المتخصصة، وبخاصة إذا ما تم بناؤه فعلاً على مدونات محوسبة، وفق تصور -علي القاسمي- السابق.
- يمكن أن يقدم لنا صورة متكاملة عن المفهوم العلمي من خلال إيراد تطورات المختلفة عبر الزمن كما يمكن أن يقدم لنا مختلف آليات تعريفه (مرادفات صور أضعاف..)

- يمكن للمعجم التاريخي أن يقدم الشواهد التمثيلية التي توضح الدلالة الاصطلاحية مرتبة ترتيبا تاريخيا مستندة إلى أصحابها مما يعطي الدلالة الاصطلاحية مصداقية وموثوقية.
- يمكن أن يزودنا المعجم التاريخي المختص بمجموعة من المعلومات المتعددة؛ معلومات خاصة بالمفهوم، معلومات لغوية شكلية، وصفا صوتيا وصرفيا ونحويا، معلومات تاريخية تتمثل في ظهور مصطلح أصله وتطوره، معلومات توثيقية خاصة بالمصادر التي أخذ منها المصطلح.
- يمكن أن يقدم المعجم التاريخي تاريخا حقيقيا للعلوم من خلال البحث في تاريخ المفاهيم والمصطلحات وتطورها وأشكال التطور وأشكال الاستعمال الاصطلاحي، مما يقدم فهما حقيقيا للعلم أو للمجال المعرفي الذي يشغل عليه الباحث.

وعليه فإن صناعة معجم تاريخي لكل علم أو فن وفق الشروط العلمية المتعارف عليها قد يجنب الصناعة المعجمية الخاصة كثيرا من العقبات والمشكلات التي تتخبط فيها، وعلى رأسها مشكلات الترجمة والمقابلات العربية المتعددة للمصطلح الواحد، من خلال تأسيس الانتخاب على أساس أكثر المقابلات شيوعا وانتشارا واستعمالا، وهذا الأمر لن يصل إليه الدارسون إلا من خلال جمع وتتبع تاريخيين للمصطلحات، ونفس الأمر يقال بالنسبة لفوضى تعدد المفاهيم وتداخلها، فإن سرد تطور المفاهيم ونسبتها إلى أصحابها في الفترات الزمنية المتلاحقة كفيل بتحديد المفهوم المناسب للمصطلح والأمر نفسه يقال أيضا في انتخاب الصورة الشكلية للمصطلح وغيرها من القضايا الإشكالية التي تواجه المعجمية المتخصصة في الوطن العربي، ويبقى الأمل قائما في توجيه اهتمام الدارسين إلى ضبط المعاجم الاصطلاحية وفق الرؤية التاريخية التي ذكرنا.

وتبقى إشارة علي القاسمي على قدر كبير من الأهمية، وهي ضرورة الإفادة الحقيقية من التكنولوجيا الحديثة وإخضاعها لمتطلبات ومستجدات البحث اللغوي، ومن صور ذلك الاعتماد على النصوص المحوسبة في أية صورة كانت، أو ما يسمى بالمدونات المحوسبة، خاصة إذا ما تم جمع النصوص والشواهد بالصورة العلمية المطلوب توفرها في المدونات الحاسوبية الحديثة، حيث إننا نحوز نصوصا عربية خاصة وعامة في غابة الضخامة والأهمية، وإن حصر هذه النصوص والإلمام بها أمر متعسر على العقل البشري عند فرد واحد أو حتى عند جماعة من الدارسين مجتمعين، من أجل ذلك تبقى الوسائط التكنولوجية الحديثة بما تنتجه من قدرات التحميل والمعالجة السريعة والدقيقة سبيلا وحيدا لجمع وقراءة هذه النصوص، ويضاف إلى هذا كله ضرورة الاستعانة بآخر إصدارات الذكاء الاصطناعي وإخضاعها في فائدة البحث المعجمي، ولا شك أن توظيف هذه التقنيات سيسهم -بلا شك- في تذليل كثير من الصعوبات خاصة ما تعلّق منها بالتتبع التاريخي للمفاهيم والمعاني، وانتخاب الترجمات والمقابلات

العربية والأجنبية للمصطلحات العلمية، وتحديد أكثرها شيوعاً ودوراناً في مختلف تخصصات المعرفة الإنسانية، وبالتالي نتجنب كثيراً من المشاكل التي أفنى الباحثون وقتاً ثميناً في تعدادها وحصرها والشكوى والضجر منها، وبحث الحلول المؤقتة والجزئية لها.

6. خاتمة:

من خلال العرض السابق يتضح لنا أن إنجاز المعجم التاريخي المختص الذي يتتبع تاريخ المصطلحات العلمية لا يقل أهمية عن إنجاز المعجم التاريخي العام الذي يتتبع تاريخ المفردات اللغوية العامة؛ وذلك بما يقدمه هذا العمل من أجوبة آنية وفورية عن الكثير من القضايا الخاصة بالمصطلح العلمي في البيئة العربية؛ إن في المستوى اللغوي والعلمي، أو في المستوى التنظيمي، وفي مختلف مجالات اختصاص وانتماء المصطلح، و نظراً لحجم الفائدة التي يمكن أن يقدمها هذا المشروع في حال إنجازه وفق الشروط التي ذكرنا، فقد أكدت هذه الدراسة على أهم أشكال الاستفادة العلمية والعملية من وراء هذا المشروع والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- توثيق التحولات الدلالية و المفهومية للمصطلحات العلمية ضمن المجال المعرفي الواحد، أو في المجالات العلمية والمعرفية المتعددة من خلال عملية تتبع ارتحال المفاهيم العلمية من تخصص إلى آخر، وذلك في سياق تلاقح وتفاعل المعرفة الإنسانية؛ إذ يمكن لهذا النوع من المعاجم التتبع الدقيق لتطور المفاهيم العلمية، وتحولات الشكل الصوري الكتابي للمصطلحات، خاصة إذا ما تم الاستعانة بالأدوات التكنولوجية، كأدوات الذكاء الاصطناعي، وبرامج معالجة اللغات الطبيعية التي تسمح بهذا التتبع التاريخي والتطوري، وتسمح بعمليات استخراج المصطلحات والمفاهيم على حدّ سواء من المدونات اللغوية الكبيرة.
- منح الدقة المطلوبة في ترجمة المصطلحات العلمية ونقلها إلى العربية، وتجنب الأخطاء الشائعة والإشكالات المنهجية الكثيرة التي تشوب هذه العملية -أي ترجمة المصطلحات العلمية - في بيئتنا العربية؛ وذلك من خلال تأسيس الفعل الترجمي على قاعدة انتخاب المقابل أو الترجمة الأكثر استعمالاً ودوراناً على ألسنة المتخصصين الباحثين، وإن هذه الغاية تبدو سهلة المنال إذا ما تم بناء المعجم التاريخي المختص وفق الرؤية التي ذكرنا من اعتماده على مدونة ضخمة من النصوص المتخصصة في فترات زمنية متعددة ومتعاقبة، وتزويد هذه المدونة بأدوات القراءة التكنولوجية المناسبة التي تتطلبها هذه المدونة، وبالتالي توكل مهمة البحث والتنقيب والفرز للأدوات التكنولوجية بما تملكه من قدرات رهيبية في المعالجة والبحث.

- إن إنجاز هذا النوع من المعاجم يمكننا - بلا شك- من القضاء على كثير من أشكال الفوضى الاصطلاحية التي يكون منشؤها المشكلات اللغوية المختلفة من ازدواجية، وثنائية، واختلاف المستويات اللغوية أثناء الاستعمال.

- إن عملية التوثيق هذه للمصطلحات والمفاهيم العلمية التي يفرزها هذا النوع من المعاجم تسهم -بكل تأكيد- في بناء تاريخ للعلوم في بيئتنا العربية، وتبرز حجم إسهام هذه الأمة في التأسيس للحركة المعرفية، وبالتالي يتم من خلالها ربط حاضر هذه الأمة بماضيها المشرق.

وعليه يدعو هذا البحث إلى ضرورة التفكير بجدية في مثل هذا النوع من المعاجم نظرا لفائدته الكبرى في التأريخ للعلوم في بيئتنا من جهة، وفي القضاء على فوضى الاصطلاح من جهة ثانية، كما يدعو إلى ضرورة الاستفادة من مخرجات ونتائج التكنولوجيا الحديثة أسوة بالأمم المتقدمة، وخاصة ما تعلق بالإفادة من فكرة المدونات الحاسوبية، ونتائج الذكاء الاصطناعي في جمع النصوص العلمية العربية وتحليلها واستخلاص المعلومات الضرورية المطلوبة منها آليا.

7. قائمة المراجع:

1. إبراهيم السامرائي. (1990). من مواد المعجم التاريخي الجمع في طائفة من الكلم القديم. *المعجمية التونسية*، 187-213.
2. الجليل، ع. أ. (2014). *المداري المعجمية دراسة في البنية التركيبية*. الأردن: دار صفاء للطباعة.
3. الشاهد البوشيخي. (2003). مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية. *مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق*، 685-708.
4. الطيب البكوش. (1990). بعض الإشكالات المنهجية الخاصة بالمعجم العربي التاريخي. *المعجمية التونسية*، 387-407.
5. أنيس فريحة. (1981). *نظريات في اللغة*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
6. أوغست فيشر. (1967). *المعجم اللغوي التاريخي*. القاهرة: مجمع اللغة العربية الهيئة العامة لشؤون المطابع.
7. سعد مصلوح. (1984). *في اللسانيات العربية المعاصرة دراسات وثقافات*. مصر: عالم الكتب.
8. شوقي ضيف. (1990). *صعوبات الاستشهاد الشعري في المعجم العربي التاريخي*. *المعجمية التونسية*، 409-417.
9. علي القاسمي. (2008). *علم المصطلح أسسه العلمية وتطبيقاته العملية*. لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
10. محمد رشاد الحمزاوي. (ماي، 1990). تاريخ المعجم التاريخي (متع) في نطاق العربية. *المعجمية التونسية*، 11-28.
11. يوسف وغيلسي. (2008). *إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد*. الجزائر: منشورات الاختلاف.